

مراجع الكتابة الروائية

في المغرب العربي

الدكتور :

بوشوشة بن جمعة

معهد بورقيبة للغات الحية

جامعة تونس الأولى



تعدّ الرواية جنسا أدبيا مستحدثا في الثقافة المغاربية المعاصرة ، وتبقى قليلة التراكم - رغم الرصيد الذي أدركته منذ ظهورها مع منتصف الخمسينات في كل من تونس والمغرب الأقصى ، ومع مطلع الستينات في ليبيا ، ثم بداية السبعينات في الجزائر وموفاها في موريتانيا ، وهي الى ذلك يسمها هاجس التجريب و التجاوز لأشكال الكتابة التقليدية بحثا عن الخصوصية .

ثم إنه لا يمكن الحديث عن الرواية المغاربية المكتوبة بالعربية بمعزل عن جملة الشروط أو الوسائط التي عملت على انتاجها وتلقيها في مجتمعات مغاربية تغلب عليها انماط الثقافة التقليدية ، ومن ثم تقتضي الضرورة وضع هذه الرواية - بعد الإحاطة بشروط كتابتها وشروط تلقيها - ضمن سياق انتاجها واستهلاكها / حيث تحدد أولهما مراجع الكتابة في حين تحدد ثانيهما مسألة القراءة .

وتجدر الإشارة - في هذا السياق - الى ان مراجع الكتابة الروائية المغاربية في التسعينات ، لايمكن إقصاؤها عن المراحل السابقة لهذه الفترة الزمنية ، والتي قطعت فيها هذه الرواية عديدا لاطوار وقامت بعدد الاوار وهو ما يجعل الفعل الروائي المغاربي المكتوب بالعربية في التسعينات يمثل التواصل والإمتداد مع النصوص التي انتجت منه زمن التأسيس الى موفى الثمانينات ، وذلك اعتبارا لكون النصوص الأدبية ، من ثم الروائية تنتج بعضها البعض من خلال تألفها او تخالفها في غياب الدرجة الصفر من الكتابة على حد تعبير رولان بارت .

وليس من اليسير بحث اشكالية قراءة الرواية المغاربية المكتوبة بالعربية ، فعمليات التوثيق التي يحتاجها الباحث عن وضعها متعشرة وناقصة وتقريبية في احسن الاحوال وليس في قدرة الباحث الا ان يجعل تصوراتهِ وتقديراته نسبية ومؤقتة اعتمادا على بعض البيبليوغرافيات او الدراسات التي تناولت مسألة القراءة عامة والرواية خاصة او قاربتها وذلك رغم أهمية سؤال القراءة التي تمثل احد الفواعل الاساسية في انتاج النص الروائي. فكل كتابة تتأسس على احتمال قراءة ومن ثم اقترن فعل الكتابة

الأدبية عامة والرواية خاصة بالقارئ المتوهم الذي يعقد معه الكاتب حلفا روائيا يقوم على التخيل لا على التصديق والتماهي ويختلف هذا القارئ المتوهم من كاتب إلى آخر اعتبارا لا ختلاف صيغ الكتابة واشكالها ومقاصدها .

1 - الرواية المغاربية : مراجع الكتابة

اعتمد جنس الرواية في المغرب العربي منذ تأسيسه الى الزمن الراهن على عدد من مراجع الكتابة اسهمت مجتمعة في تشكيل ملامحه عبر كل المراحل التي مر بها ، والتي ميز كل واحد منها نغمة من الكتابة يعبر عن سماتها المفيدة . ويمكن ان نحدد خمسة مراجع اساسية استلهم منها كتاب الرواية المغاربية المكتوبة بالعربية تجاربهم في الكتابة الروائية وهي :

الذات/ المراجع حيث السيرة والرواية تتجاوران، ثم التاريخ حيث يتفاعل التاريخي والروائي في انتاج النص الادبي ، فالواقع الذي تشكل تحولاته وتغييراته انماط الكتابة الروائية ، ثم التراث الذي يمثل أفقا حديثا في فعل الرواية وعملية الكتابة الادبية عامة ، وأخيرا اللغة التي دخلت في معادلة مع الكتابة الروائية، تجاوزت بها وظيفة الابلاغ لتتحول إلى حقل ابداع.

1 - الذات / المراجع : حوار السيرة والرواية

ان الكثير من المقاربات النقدية التي قمت في الغرب ورامت البحث في خصائص العلاقة القائمة والممكنة بين كل من السيرة الذاتية والرواية بغية التمييز بينهما في حقل الكتابة الادبية ، أثبتت عدم وجود اختلافات جوهرية حيث « انهما تنطلقان من التجربة الذاتية لتتجاوزاها بعد ذلك إلى مسالك التخيل وفضاءاته »⁽¹⁾ ، ومن ثمة فان كليهما تنبني على فعاليات التخيل والايهام بالحقيقة ، وهو ما يبينه الكاتب محمد عزالدين التازي في قوله : « كاتب السيرة الذاتية غالبا ما يمارس الكذب المتعمد لترزين حياته الخاصة او اظهارها بمظهر المأساة او البطولات الخارقة التي تحدى من خلالها واقعه

1 - انظر على سبيل المثال :

Le jeune(philipe):le pacte autobiographique. Ed .Seuil . paris 1975 p 45

اجتماعي، ومن ثم فهو يؤث فضاءات السيرة لتتكيف مع الموضوع وينسي ماينسأه ولا يتذكر إلا مايريد . أما الروائي فهو يعي ما يكتب. إنه يمارس الكذب الروائي (1) وهو ما يجعل البحث في مسألة التطابق بين الذاتي والموضوعي والتاريخي والجمالي ليست مسألة ذات بال .

ومن ثم وجب البحث في نسبة النص السير ذاتي ومدى انسجام مكوناته وتناغمها فضلا يتوفر عليه هذ النص من درجة اقناع وامكانيات تأثير يمكن ان يمارسها على القارئ - الملتقى ، وهو ماينشئ تلك العلاقة غير المباشرة في الغالب بين النص الروائي والقارئ والتي تتم إماعن طريق الراوي او الشخصية التي قد تمارس دور القاص والراوي والبطل على حد سواء لان رواية السيرة الذاتية إن هي إلا « حكاية نسجت حول شخصية المتكلم حتى تكون هناك صلة بين القاص والراوي » (2) وهو مايجعل هذا النمط الروائي يسعى دوما إلى تحديد العلاقة الجدلية بين الذات والموضوع ولعل اهمية جنس السيرة الذاتية تكمن في كونه ينجز في مستوى النص الروائي تواعلا عميقا بين الذاتي والموضوعي ، وبين الشخصي / الفردي والتاريخي/ الجماعي والواقعي والتمثيل وان كانت الذات تبقى هي مرجع الكتابة وموضوعها ومقصدها ، مع تمثيل هذه العناصر اوضاعا مفارقة بعض الشيء بالنسبة للذات .

وتشكل الذات مرجعا أساسيا في الكتابة الروائية المغاربية ذات التعبير العربي، وعلامة مميزة في مسارها منذ زمن التأسيس حتى الزمن الراهن . فقد نزعَت الكتابات الأولى التي كانت تتحسس الطريق إلى الرواية وإلى السيرة الذاتية الصافية التي يعود خلالها الكاتب إلى استنطاق الماضي معتمدا على الذاكرة لجمع تفاصيل الاحداث المشتتة والمتداخلة وربط الصلة بين الماضي والحاضر ، ويجسد ذلك نصّا : « الزاوية » (1942) للتهامي الوزاني، و« في الطفولة » (1957) لعبد المجيد بن جلون ، أو أنها

1 - محمد عز الدين التازي : « شجرة الرواية » في معنى الكتابة وفضاءات التجربة - بحث مخطوط قدمه في ملتقى الروائيين العرب لامتعد بقايس من 31 جويلية إلى 4 أوت 1992 .

2 - Le jeune(philipe) : l' autobiographie en France Ed . Armand Colin u 2- 2 Paris7 , 1971 p 23 .

تعتمد الى استدعاء بعض المكونات السير ذاتية في خطابها الروائي بوصفها عناصر تكوينية تسهم في بلورة وجهة نظر المؤلف تجاه الذات والعالم معا. فضلا عن إغنائها الأبنية الروائية بما توفره من استيهامات وخطابات ذاتية تعري الاوهام وتعيد صياغة صور الكتاب عن ماضيهم من حيث هو تاريخ ماقبل حاضرم ، ويمكن ان تمثل لذلك بنصوص : « الطالب المنكوب » (1951) لعبد المجيد الشافعي ، و« صوت الغرام » (1967) لمحمد منيع في الجزائر ، و« المنبت » (1967) لعبد المجيد عطية في تونس ، و« دفنا الماضي » (1966) ، لعبدالكريم غلاب ، و« النار والاختيار » (1966) لخناثة بنونة ، و« جيل الظما » (1967) لمحمد عزيز الحبابي ، في المغرب الأقصى ، « اعترافات انسان » (1961) لمحمد فريد سيالة في ليبيا .

ثم شهد هذا النمط من الكتابة الروائية تطورا مطردا على مدى السبعينيات وخاصة الثمانينات التي ظهر خلالها خمسة نصوص ذاتية روائية صافية وهي « الخبز الحافي » (1982) و« الشطار » (1982) لمحمد شكري و« لعبة النسيان » لمحمد برادة و« كان واخواتها » (1982) ، و« دليل العنفوان » (1989) لعبدالقادر الشاوي ، وهي نصوص كلها مغربية تبين أن هذا النوع من الكتابة الأدبية تقليد قديم في الأدب المغربي الحديث والمعاصر ، و تكشف التفاوت في ممارسته من قطر مغاربي إلى آخر .

غير ان الظاهرة الدالة - منذ مطلع التسعينات - تتمثل في هذا الاقبال المطرد والمتزايد على كتابة السيرة الذاتية بأفق تخيلي هو إلى الخطاب الروائي اقرب منه إلى الميثاق السير ذاتي الأحادي الاتجاه في الكتابة الروائية ، حيث ظهرت ثلاثة نصوص - إلى حد الآن - هي : « أوراق » (1990) لعبد الله العروي ، و« زمن الاخطاء » (1992) لمحمد شكري في المغرب الأقصى ، و« رجع الصدى » (1992) لمحمد العروسي المطوي في تونس .

فالاول يكمل في « أوراق » ما كان قد ضمنه لنصوصه السابقة : الغربة (1971) (1981) واليتيم (1978) و« الفريق » (1986) من مكونات سير ذاتية اضى عليها طابع التخيل بينما يعمد محمد شكري في الجزء الثالث من سيرته الذاتية « زمن الاخطاء » والذي تلا كلا من « الخبز الحافي » (1982) و« السوق الداخلي »

(1986) ، الى تدوين تجربته الحياتية منذ دخوله المدرسة سنة (1956) إلى وفاة امه سنة (1985) ، في شكل روائي يتداخل فيه المعيش والتخيل ، المحكي والمكتوب ، الحلم والواقع ، وتشخيص روائي يقوم على تصوير حياة التشرد والته في بيئة مهمشة لا هامشية وماتخللها من انكسارات ومأس لعل اكثرها وقعا في النفس «موت الام» وكان بليغا في تصويره ، بقوله : «لم أرها منذ أكثر من سنة ، شغلت المسجلة ورجوتها ان تغني لي بالريفية ، انحرجت قليلا باسمه ثم غنت الكلمات من خلق مرح الطفولة والحطب والحصاد . لكن صوتها حزين ، لقد اضعفتها شيخوختها المهمومة ، الاغتراب برد حنيني اليها لاشك انها فكرت كعادتها في بعدي عنها . اني شاطر الاسرة الوحيد ، انها ميتة - حية ، ايقظني حنيني اليها . صباح صيفي ، خواء في الروح . انحطاط صحي لم أذكرها ميتة الا وانا في محطة السفر » (1) .

أما محمد العروسي المطوي فقد شحذ الذاكرة في «رجع الصدى» ليجمع شتات تفاصيل كثيرة لتجربته الحياتية الخصب والغنية بالاحداث والوقائع ، التي تتجاوز حدود الذات الفردية الضيقة لتجسد واقعا موضوعيا تفاعلت معه ذات الكاتب ماضيا وتأثرت به حاضرا فصاغته خلقا أدبيا تداخلت فيه الكتابة عن الذات مع الكتابة الروائية ومن ثم اضافة التخيل على الموجود بالفعل .

وتنضاف الى هذه النصوص السير - ذاتية الصافية اخرى ركزت على استدعاء مكونات سير - ذاتية في خطابها الروائي وتمثل لها ب«زهرة الصبار» (1990) لعلياء التابعي ، و«كان عرس الهزيمة» (1991) لحياة بن الشيخ و«نخب الحياة» (1992) لآمال مختار في تونس ، و«ذاكرة الجسد» (1993) لاحلام مستغامي في الجزائر ، «احمد ابراهيم الفقيه في ثلاثية : «حكايات الحب الخاسر» (1991) في ليبيا ، و«محن الفتى زين شامة» (1993) لسالم حميش في المغرب الأقصى .

ان هذا النمط من الكتابة الروائية بقدرما ركز على تصوير سير - ذاتية او توظيف عناصر منها بالاعتماد على الذاكرة لجمع شتات الأحداث والوقائع المشتتة

1 - محمد شكري زمن الاخطاء ، دار الساقي ، بيروت لبنان ، 1992 ، ص 198 .

والتدخل، فإنه يعبر عن أزمة مثقفي المغرب العربي بعد استقلال بلدانهم . وقد تحولت تطلعاتهم المتفائلة بالزمن الاتي الى انكسارات فكان انكفاؤهم على الذات واتخاذها مرجع / كتابة يصورون من خلاله المغامرات الفردية التي يقومون بها لمواجهة شتى انواع الصراع التي اوجدتها التحولات المتأزمة التي شهدتها بلدانهم ولا تزال في شتى حقول الحياة : مما يجعل « الكتابة بالنسبة للكاتب هي الطريق المتكاملة لتجسيد حضوره » (1) . وبذلك يعلل هذا التراكم المنطرد في هذا النمط من الكتابة الروائية في التسعينات بتعمق شعور الذات المبدعة وهي تمارس فعل الكتابة بالاعتراب عن واقعها لعدم تناغمها معه ، وهو الواقع الذي يشهد مزيدا من التدهور في قيمه . فيكون الارتداد الى الماضي بديلا عن الحاضر ، والانفلاق على الداخل بدل الانفتاح على العالم الخارجي .

ويمكن أن ننخلص من هذا التدخل بين الروائية والسير - ذاتية ضعف التخيل لدى روائي المغرب العربي الذين قد حان الوقت لنطالبهم بان يفكوا مثل الارتباط القائم ما بين هذين الجنسين الادبيين حتى يتعود القراء على تلقي الروايات المغاربية كما يتم تلقي الأعمال التخيلية بدل اكتفائهم بالبحث عن مواطن الالتقاء والاختلاف بين الكتاب والشخصيات الروائية .

2- الكتابة بين التاريخية والروائية :

ان الكتابة تصنع التاريخ وتشكل به تاريخها الخاص فهي محاكاة له لا في سجلاته المألوفة فحسب بل المنسية أساسا سبيلها إلى ذلك الذاكرة فضلا عن الحكيم الشفوي والمدون فيكون التاريخ بذلك مادة قص وتشكيل لغوي - أدبي حيث تمتلك المخيلة واللغة الادبية التاريخ محتوى وتعيد صياغته وفق متطورات محددة يلونها التاريخي والايديولوجي والرمزي لان النص الادبي لا يبحث عن غائية ما للتاريخ بقدر

1 - عبد الكبير الخطيبي الرواية المغربية ، ترجمة محمديرة منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي العدد 02 الرباط 1971 ص 22 .

ما يحاول الامساك باصونه و سيرورته (1) وهو ما يوضحه « جورج لوكاتش » في تحديده لمقصد الرواية التاريخية التي تهدف في نظره « إلى تصوير وتمثيل حركة الحياة الشعبية داخل التاريخ كحركة واقع موضوعي مرتبط بعلاقة حية مع الحاضر » (2) . وهو ما يجعل التاريخ مادة للكتابة الروائية وتظهر الرواية كتابة خصوصية له ولمكوناته الاساسية احداثا ووقائع وشخصا وعلاقات فضلا عن كونه (أي التاريخ) يمثل علامة جمالية من علامات الرواية ، واشكالية تطرح علاقة جنس الرواية بالتاريخ ، اعتبارا لكونه كل نص ادبي يشكله سياق اجتماعي - تاريخي ثم تكون له لاحقا سيرورته التاريخية الخاصة . فقد كان بلزاك يعتبر نفسه نموذج الكاتب المؤرخ ، وكان لينين يدرك الرواية مرآة للشورة الروسية تعكس ايدولوجية الكاتب وغيرها من الايدولوجيات .

وقد انخرطت الرواية المغاربية المكتوبة بالعربية - في التاريخ - منذ مرحلة التأسيس التي تزامت مع استقلال بعض البلدان المغاربية كتونس والمغرب الأقصى ، وخوض بعضها الآخر ثورة التحرير كالجزاير ، وذلك باعتبار هذه الرواية كتابة ونتاجا جماليا وملحميا للتاريخ المغاربي ومسار المقاومة الادبية والفكرية مع المشرق العربي والغرب الاوربي . وبذلك نشأت الرواية رد فعل لكل تلك العوامل المتفاعلة ، فكانت بذلك بحثا عن التاريخ وفيه .

واعتمد هذا النمط من الكتابة الروائية المرجعية التاريخية - مع التفاوت من بلد إلى آخر - سبيل بحث عن الهوية وتثبيتها ، من خلال التأريخ لبلدان المغرب العربي في مسيرتها النضالة من أجل التحرير والاستقلال ، والاشادة بالاحداث والوقائع ، وتمجيد البطولات فكان من الطبيعي ان يستغرق هذا النمط من الرواية الانعكاس والتوثيق بدل الايحاء والتأويل وايجاد الوعي الممكن لا الكائن ، حيث اعتمدت على النقل من الشفوي إلى المكتوب ومن المعيش إلى التخيل في نزعة احتفالية يغلب عليها الانفعال

Texte cité par Christi ane ACHOUR , " la nouvelle algérienne de - 1
langue et la guerre de libération .in collectif . littérature et poésie algérienne
OPU alger 1983 , p 13 .

LUCHAS (Georges) : Le roman Historique ,payot - paris 1965 . p 383 - 2

بلحظة الاستقلال التاريخية ، وهو ما يعلل الحيز الهام الذي شغله هذا الاتجاه الروائي في رصيد الرواية المغاربية ذات التعبير العربي ، وغثل له بنصوص : « زمن الضحايا » (1956) و « حليلة » (1964) و « التوت المر » (1967) لمحمد العروسي المطوي و « ارجوان » (1970) « خيوط الشك » (1972) و « نوافذ الزمن » (1974) لمحمد المختار جنات في تونس و « دفننا الماضي » (1966) و « سبعة أبواب » (1920) لعبد الكريم غلاب و « بامر » (1974) لأحمد زياد ، و « الريح الشتوية » (1977) لمبارك ربيع في المغرب الأقصى ، وروايات « أقوى من الحرب » (1962) و « حصار الكوف » (1964) و « أنا الوطن » (1974) لمحمد علي عمر ، و « انتقام السجين » (1970) و « طرابلس 64 » (1973) و « دماء تحت النخيل » (1973) لمحمد صالح القمودي في ليبيا .

غير أن هذه المرجعية التاريخية ان هيمنت على الخطاب المغاربي في كل من تونس والمغرب الأقصى وليبيا خلال الستينات لتشهد أفولها مع مطلع السبعينات فانها مثلت معين الهام - لا يبدو أنه مرشح للنضوب - للروائي الجزائري على الرغم من مضى ما ينيف عن العقدين من ظهور الرواية العربية الجزائرية . فقد هيمن موضوع الثورة ، وانعكاساتها المختلفة زمن الاستقلال على متن هذه الرواية على مدى السبعينات ، والثمانينات ، فاصبحت على حد تعبير كاتب ياسين « وطن الادباء » وقد اكسبتهم مشروعية أدبية وايدولوجية ، بعد ان سكنت النص الروائي الجزائري المكتوب بالعربية ، وغثل لهذا النمط التاريخي في الرواية العربية الجزائرية بنصوص عبد المالك مرتاض « نار ونور » (1975) . و « دماء مدموع » (1977) والخنازير (1980) و « صوت الكهف » (1986) ومرزاق بقطاش : « طيسور في الظهيرة » (1976) و « البزاة » (1982) وخاصة روايات محمد مفلح : « الانفجار » (1984) و « هموم الزمن الفلاقي » (1984) و « الانهيار » (1986) و « زمن العشق والاختار » (1986) و « خيرة والجمال » (1988) وغيرها من النصوص التي جسدت النزعة الوطنية من خلال تقديسها لماض وتحويل دلالاته نحو الاطلاقية والفردانية ، وهو ما يجعل الخطاب الروائي يندرج ضمن الخطاب الوطني برسمه ملامح التاريخية الوطنية .

ويتواصل استنزاف المرجعية التاريخية في الرواية العربية الجزائرية في التسعينات برؤية مقارنة بين تاريخ الجزائر النضالي في مرحلة ثورة التحرير وتاريخها المعاصر وقد تم الاستقلال وكأن هذا المكسب لم يحقق الطموحات المرجوة من خلال مشهده مسار الثورة من انحرافات حادت به عن الاهداف التي كانت تبشر بها الثورة والغد الذي كانت ترسم ملامحه في الزمن الواعد ، وتمثل لهذا النمط التاريخي في رواية التسعينات الجزائرية بنص: «وغدا يوم جديد» (1992) لعبد الحميد بن هدوقة .

ولعل استحدث خطاب روائي عن تاريخ ثورات بلدان المغرب العربي يستهدف البحث عن انسجام داخل الحاضر المغربي في تحولاته المتأزمة وصراعاته وهو ما يعلل العلاقة المتوترة بين الخطاب الروائي والخطاب الايديولوجي السائد حتى وان كان شكل الكتابة الروائية غير واضح بقدر الكفاية ، ويطرح في الآن ذاته اشكالية جدوى مواصلة الكتابة في التاريخ النضالي المغربي وخاصة تاريخ الثورة الجزائرية منه ، حيث التفتني ببطولات تجاوزتها الاحداث والوقائع في حين يزخر الواقع بموضوعات تقتضي اشكالا تعبيرية جديدة.

3 - تحولات الواقع ، تشكيلات الرواية :

ان استقرار مسار الرواية في اوربا يثبت وثيق صلتها- منذ انبثاقها جنسا أدبيا - بالمجتمع ، وعمق تعبيرها عما يطرأ عليه من تحولات وتغيرات . فكل مرحلة اجتماعية تنتج نمطها الروائي خطاها ومحتوى . وهو ما يؤكد رفض الرواية كل السنن والقوانين التي تقيد الاجناس الادبية ، حتى تكون متحررة من كل أشكال القيود ، وبذلك فقد واكبت الرواية كل التحولات الاجتماعية والسياسية والثقافية والحضارية التي شهدتها اوربا منذ عصر النهضة وقبله إلى الزمن الراهن.

وقد اسهم عامل المشاقفة مع الغرب في نقل نظريات الواقع والرواية الى الادب العربي الحديث ، ومنه إلى الادب المغربي المكتوب بالعربية ذلك أن الرواية - من حيث هي نموذج من الكتابة الادبية المستحدثة في الثقافة المغربية المعاصرة تؤكد تأثير عملية «المشاقفة» من مصدرها الشرقي ، من خلال ما كان يصل المغرب العربي من نصوص أدبية وخاصة روائية ، وهي النصوص التي مثلت مراجع كتاب الرواية وهم يتحسسون

الطريق إلى هذا الجنس الأدبي المستحدث والدخيل على ثقافتهم التقليدية التي تغلب عليها المراجع السلفية.

فقد تمثل كتاب المغرب العربي وهم يمارسون كتابة الرواية الواقعية مع مطلع السبعينيات ، نصوص نجيب محفوظ، وتوفيق الحكيم ، وطه حسين ، وعبد الرحمان الشرقاوي، ويحي حقي، وسهيل ادريس وغيرهم ممن مارس الكتابة القصصية والروائية. ويعد هذا الصنف الروائي الذي يوظف الواقع الاجتماعي في خطابه ومحتواه - من حيث تراكمه - من أغزر الأصناف الروائية انتاجا ، وهو يمثل انعطاف نوعية في مسار الرواية المغاربية المكتوبة بالعربية ، بتعويضه نمط الكتابة التاريخية النضالية التي مثلت ميسم هذه الرواية في بلدان المغرب العربي ، باستثناء الجزائر وموريتانيا في الخمسينات والستينات .

وهو يصور أزمة تحول المجتمعات المغاربية وقد حصلت على استقلالها ، فيعبر مظاهر تخلفها ويحللها تحليلا نقديا يبرز مواقف أهم الفئات الاجتماعية فضلا عن تعرضه إلى القضايا السياسية والثقافية ، وتصويره الصراع القائم بين السلطة والمثقف ، وهو ما يفسر الحضور المكثف لشخصية المثقف ودوره في المجتمع وعلاقته المتوترة - المتأزمة غالبا بالسلطة ، في عدد هام من الروايات التي تواتر ظهورها على مدى السبعينيات والثمانينات ، وتمثل لها بنصوص ، «واحة بلاطل» (1978) و«الأسد والتمشال» (1988) لعمر بن سالم ، و«الحوات والقصر» (1978) ، و«تجربة في العشق» (1979) للطاهر وطار ، و«أوجاع رجل غامر صوب البحر» (1973) و«مصرع أحلام مريم الوديعه» (1984) ، و«ضمير الغائب والشاهد الأخير على اغتيال مدن البحر» (1989) لواسيني الأعرج ، و«زمن النمرود» (1980) للحبيب السائح في الجزائر ، و«زمن بين الولادة والحلم» (1978) ، و«وردة للوقت المغربي» (1974) و«الجنابة» (1987) لآحمد المديني ، و«أبراج المدينة» (1978) و«رحيل البحر» (1983) لآحمد عز الدين التازي في المغرب الأقصى ، و«ميض في جدران الليل» (1988) لآحمد نصر في ليبيا، و«الأسماء المتغيرة» (1981) لآحمد ولدعبد القادر في موريتانيا . ولقد عمد البعض من رواد هذا النمط الروائي الذي اتخذ من المرجع الواقعي /

الاجتماعي جوهر عملية الكتابة إلى اقحام العامة وحتى الاعجمية في الخطاب الروائي بعد ان اقتنعوا بجدواها الفنية وتبنوها في كتاباتهم التي خلت لغة سردها من الزخرف اللفظي والصور البلاغية المفرقة في الخيال الآن غايتهم الابلاغ الذي يتصدر بقية القيم الفنية الأخرى للعمل الابداعي ، ولعل مذهب البشير خريف (1971 - 1983) في الكتابة الواقعية يمثل خير نموذج ، وذلك في نصيه : «الدقلة في عراجينها» (1969)، و «افلاس أو حبك درباني» (1980) (1) ، وقد يتصرف البعض منهم في نظام الزمن وفي ترتيب الاحداث مجازاة لبعض المجددين في الشكل الفني وربما كان لبعض التقنيات السنمائية الحديثة تأثير مباشر في ترتيب الأحداث في عهد التلفزة والتجريد السينمائي والمسرحي (2). ولذلك فلاعجب ان يجمع هذا النوع بين السرد التقريري المحجف أحيانا والتوليد الفني . فلا يتخلص من تأثير الخطاب السياسي المباشر ولا يحرر اللغة الموظفة من التبسيط المبالغ فيه أحيانا . فهي خطوة في التحوار وناقذة تفتح لمراجعة مفهوم التأسيس الروائي والسعي الجاد إلى مزيد ربط العمل الروائي بالواقع الاجتماعي والحضاري وتحقيق هويته الفنية والفكرية المميزة . وبذلك مهد هذا النمط من الكتابة الواقعية في نزعتها التسجيلية او الإنتقادية او الاشتراكية لنمط جديد من الإبداع الروائي يقوم على هاجس التجريب بحثا عن أفق حدائي في الكتابة . غير ان مذهب التجريب في الخطاب الروائي المغاربي المكتوب بالعربية والذي هيمن على مدى الشائينات ، ويتواصل حضوره في التسعينات لم يحل دون تواتر ظهور الروايات الواقعية التي تصور مظاهر تأزم المجتمعات المغاربية في الميادين السياسية والاجتماعية والثقافية والحضارية ، وفي زمن تحتد فيه الضغوط الداخلية والخارجية على بلدان المغرب العربي وتتضخم التحديات ، وتمثل لهذه النصوص الواقعية المهيمنة على الانتاج الروائي المغاربي في التسعينات بـ « كلب السبخة » (1990) ، و«من حقه ان يحلم» (1991) ، و«ألق التوبة» (1991) لمحمد الهادي بن صالح و« بلارة »

1 - نشرت هذه الرواية تباعا في مجلة «الفكر» (التونسية) سنة 1959 ، ثم تولى المؤلف نشرها على نفقته سنة 1980 .

2 - د . محمود طرشونة تاريخ الأدب التونسي الحديث والمعاصر ، والمؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات (بيت الحكمة) تونس . 1993 .

(1992) للبشير خريف ، و«المؤامرة » (1992) لفرج الحوار في تونس ، و«ضمير الغائب - الشاهد الاخير على اغتيال مدن البحر » (1990) لواسيني الاعرج ، و«النخر» (1990) لابراهيم سعدي في الجزائر ، وثلاثية «حكايات الحب الخاسر » (1991) لاحمد ابراهيم الفقيه ، و«المجوس » (1990) لابراهيم الكوني في ليبيا ، و«مسالك الزيتون» (1990) للميلودي شغموء ، و«برج السعود» (1990) لمبارك ربيع ، وأيها الرائي » (1990) محمد عزالدين التازي في المغرب الأقصى .
وهي نصوص بقدر ماتستلهم موضوعا تها من الواقع ، فإنها تعتمد في خطابها الروائي إلى الرمز ، حيث تتكشف الدلالة ويكون الايحاء أكثر من الإعلان والابطن أكثر من الإبانة فبتزواج الواقعي والمتخيل إلى حد التداخل .

4 - الرواية والتراث : البحث عن افق حدائي في الكتابة

ان المسألة التراثية اشكالية في الواقع الفكري الحضاري الحديث والمعاصر وهي تتميز بحساسية مفرطة اذ من خلال الموقف منها تقاس سلفية المتحدث او حدائته ولذلك اختلفت حولها الرؤى والمذاهب إلى حد التباين فكانت محور تأولات شتى لكل منها اسسها ورؤاها وقراءات لكل منها مراجعها ودلالاتها ولكن اساس القضية ليس اتخاذ موقف مع التراث او ضده وانما في طبيعة الوعي الكائن في التعامل مع التراث عند ممارسة فعل الكتابة ابداعا او نقدا وهي الاشكالية المغيبة او تكاد في الممارسة النقدية لهذه المسألة عند بحث علاقتها بالأجناس الأدبية عامة والرواية نوعا ادبيا مستحدنا في الثقافة المغربية المعاصرة خاصة .

كيف تعامل الروائي المغربي مع التراث السردى القديم ؟ واي علاقات اقامها مع نصوصه متونا وخطابات واشكال كتابة ؟ ليس الغرض من ذلك رصد مدى تأثير كاتب الرواية المغربية ذات التعبير العربي بالتراث او انزياحه عنه او معاينة سرقاته منه او مظاهر قمرده عليه وهي اشكال الممارسة النقدية التي تطبق على هذا النحو او ذلك في بحث علاقة الروائي - التراثي وانما هاجسنا استكشاف مدى توصل الروائي من خلال التعامل مع التراث إلى انتاج خطاب روائي جديد معرفيا وجماليا .

- ويثل التعامل مع التراث احد مسالك التجريب انبثق مع مطلع الثمانينات

وتبلور على مداها ليمتد في التسعينات بحثا عن افق حدائي جديد في الكتابة الروائية المغاربية ذات التعبير العربي .

فقد تحول التراث وسبل توظيفه في الخطاب الروائي المغاربي إلى هاجس تملك عددا هاما من كتاب الرواية ومن ثم افرز هذا النمط من الكتابة الروائية عددا هاما من النصوص مثلت علامة متميزة في مسار الرواية المغاربية المكتوبة بالعربية تمثل لها بـ «حدث ابو هريرة قال » (1973) و«مولد النسيان » (1984) لمحمود المسعدي و«الرحيل إلى الزمن الدامي » (1981) لمصطفى المدائني و«مدونة الاعترافات والاسرار » (1985) لصلاح الدين بوجاد و«النفير والقيامة » (1985) لفرج الحوار في تونس و«نوار اللوز أوتغربية صالح بن عامر الزوفري » (1982) لواسيني الاعرج و«الجازية والدرأيش » (1983) لعبد الحميد بن هدوقة و«الحوات والقصر » (1980) و«عرس بغل » (1988) للطاهر وطار في الجزائر و«الابله والمنسية وياسين (1982) للميلودي شغسوم و«بدر زمانه » (1983) لمبارك ربيع و«رحيل البحر » (1983) لمحمد عز الدين التازي في المغرب الأقصى و«الحيوانات » (1984) لصادق النيهوم في ليبيا و«القسبر المجهول أو الاصول » (1984) لاحمد ولد عبد القادر في مورتانيا .

وان اتجه كتاب الرواية المغاربية في الثمانينات إلى التراث السردى الشعبي على وجه الخصوص يتفاعلون مع نصوصه ويستوحونها ويرون فيها رصيذا موحيا لتأسيس كتابة جديدة ، فقد كان وعيهم بكيفية التعامل مع التراث وتوظيفه في كتاباتهم يتفاوت من كاتب إلى آخر فبعضهم كان يمتلك وعيا محددا بالتراث وتصورا خاصا في استلهامه واستيحائه بغية انتاج كتابة روائية جديدة بينما كان مثل هذا الوعي محدودا لدى البعض الآخر من خلال قيامهم بمحاكاة التراث او نسخه او نقله .

وقد جاء تعامل كتاب الرواية المغاربية مع النصوص السردية القديمة على مستويات متعددة ، هي :مادة الحكى وطريقة تقديمها (الخطاب) وطريقة صياغتها (الأسلوب) ثم ابعادها الدلالية (الدلالة) .

فعلى صعيد المادة الحكائية قد يقع التصرف في المادة الأصل مثلما عمد إلى ذلك واسيني الأعرج في نصه «نوار اللوز اوتغريبه صالح بن عامر الزوфри» حيث زواج بين مادتين حكايتين أولا هما اصيلة وهي تغريبية بني هلال (1) وثانيتها روائية - متخيلة - وان كانت لها صلة بالواقع وهي تغريبية صالح بن عامر الذي يعيش في جزائر الاستقلال وهو مايفيد امتداد فعل التغريبية في التاريخ واستمراره غير أن الأولى جماعية والثانية فردية وهو مايعكس هيمنة النزعة الفردية في الواقع الحديث والمعاصر مقابل غلبة القيم الجماعية القبلية في عصر بني هلال. ثم ان «صالح بن عامر» وان كان ينحدر من سلالة بني هلال فإنه يرفض أن يكون صورة مطابقة منها بل مغايرة لها في واقع التحولات والتغيرات.

وفي السياق ذاته يستلهم واسيني الأعرج شخصية المجازية الهلالية ذات الجمال البارع ليرمز بها إلى جزائر الإستقلال الحلم الجماعي لكل الجزائريين الذين يطمحون إلى تحقيق حياة أفضل ولا يتواصل بؤس زمن الا ستعمار وقد تم الاستقلال. والرمز ذاته يستخدمه عبد الحميد بن هدوقة في نصه «المجازية والديرش» حيث يقرن المجازية بجزائر الاستقلال ويصور مدى عشق الجميع لها وطمعهم في نبيلها والحلم بغد واعد معها . ويعمد مبارك ربيع في «بدر زمانه» إلى توظيف عنصرالتضمين في تقديم المادة الحكائية حيث يتحاورخطابان يتم من خلال الاول قصة بدر زمانه ومن خلال الخطاب الثاني يتم حكي قصة احمد بن الحاج مهدي والتضمين احد ابرز مقومات شكل الخطاب في حكايات «ألف ليلة وليلة» حيث تستقل قصتان عن بعضها البعض وتتناويان في مجرى نسق الخطاب الروائي .

ثم ان عجائبية قصة بدر زمانه جعلت زمن الأحداث ينزع نحو الاطلاق (قدسي) وكذلك مكانها (كفاشي) فضلا عن شخوصهاغير المألوفة واقعياءالتي يزرخ بها عالم الحكايات العجائبية مثل «شهراموش» و«همشير» و«يشهوك» وغيرها وهو ما

1 - يوجي مصطلح التغريبية إلى دالتين متكاملتين اولاهما تعني التغرب أي مفارقة الوطن الاصل وما يصحبها من معاناة وغربة وثانيتها تعني التوجه نحو بلاد المغرب وذلك لان الوطن الأصلي لبني هلال يقع بنجد الحجاز في المشرق العربي، ثم لكونهم يبحثون عن مواطن الكلا، واخيرا لانقاذ الأبناء الثالثة المحتجزين في تونس .

يبرز تعامل مبارك ربيع في نصه هذا مع عدد من مكونات الحكاية الشعبية في «الف ليلة وليلة» .

ويعتمد الميلودي شغموم وهو يشكل خطاب روايته «الابله والمنسية وباسمين» على شكل الحكاية كما يمثل في حكايات «الف ليلة وليلة» حيث تقوم بحكي قصة الأبله وباسمين الجدة في الكتاب الاول «الهل» ويتناول الجدة الحكاية ذاتها في الكتاب الثاني «الأين» ويموت كلاهما بعد الفراغ من القصة ويتولى الرواي سرد كل من حكي الجدة والجدة ليبحث في الكتاب الثالث «المن» عن حقيقة حكاية الابله والمنسية وهو ما يجعل هذه الراية تتوفر على كل مقومات الحكاية من حكي وقائع أي شيء يحكي (القصة) وقائم بالحكي (الروائي) ومحكي له (المروي له كائنا او متخيلا) وهي ذات العناصر التي تتوفر عليها الحكاية في ألف ليلة وليلة وهو ما يوضحه هذا المقطع .

«ابتسمت الجدة الخبيثة وهي تكور الشونفوم داخل فمها الخالي من الاسنان كانه مغارة صغيرة مظلمة تتحرك داخلها افعى رقطاء .

في البداية لعن الشيطان ثم صلى على النبي العدنان بعد الاستعانة بالرحمان.. كان يا مكان كانت هناك في كل مكان وزمان ... (1).

ثم وعلى صعيد الاسلوب ، فان كتاب الرواية يختلفون بصدد العلاقة التي يقيمونها مع النص التراثي الذي يعودون إليه بغية استلهامه واستيحائه فالبعض ينزع إلى لغة هي اقرب إلى اللغة المحكية التي تتعدد فيها اللغات وتختلط الأساليب بين المنحط والراقي وهي الظاهرة التي يجسدها نص «نوار اللوز» لواسيني الاعرج بينما يعتمد البعض الآخر إلى لغة تحافظ على فصيحها وترفض المبتذل من الأساليب والمعاجم اللغوية وهو ما تبرزه رواية «بدر زمانه» لمبارك ربيع. ونجد صنفا ثالثا من الكتاب يشغل على اللغة بافق يروم تحويل مظاهرها التراثية / والعتيقة إلى علامات حديثة فيرتقي باللغة إلى مرتبة تنوق إلى مصاف الاعجاز دون ان تدركه وان كانت لاتخلو من مياسم خلق في انساق بنيته وقيم بلاغتها ودلالاتها ، ونمثل لذلك بمحمود المسعدي في نصه

1 - الميلودي شغموم الابله والمنسية وباسمين المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت لبنان

«حدث ابو هريرة قال» الذي استوحى فيه من الحديث شكل خطابه ،وفرج الحوار في روايته «النفيير والقيامة» التي سلك فيها سبيل الترتيل، وصلاح الدين بوجاه الذي عمد إلى صياغة خطاب نصه «مدونة الاعترافات والاسرار» الى لغة تنزع الى الفصحى في عصوره الاولى والبلوغ في عنفوانه والى شكل يستلهم من النص القديم بنيته الثنائية التي تجعل منه متنا وحاشية .

اما على صعيد الدلالة فان محاولات كتاب الرواية المغاربية ذات التعبير العربي التعامل مع التراث في مادته الحكائية او خطابه او أساليبه لا يمكن ان يؤدي بالضرورة الى انتاج دلالة جديدة للكتابة الروائية تتجاوز التقليدي الى المستحدث والمألوف الى المغاير الذي يسكنه هاجس تجاوز القديم دون قطع الصلة معه حيث يبقى على ابرز مقاصد ذلك النص الاخلاقية (العبرة) والمعرفية (العلم) ليضيف اليها رؤاه الجديدة وموضوعاته المستحدثة وهو ما يبرز ان كتاب هذه الرواية المغاربية المكتوبة بالعربية والذين تعاملوا مع المسألة التراثية في ابداعهم لم يقوموا بمحاكاة خالصة او تحويل صاف أو معارضة ثابتة ،فالتحول يظل مختلف الجوانب وعلى طول النص الشئ الذي يجعل القارئ يرى في هذه النصوص انها بقدر ما تتعلق السرد التراثي الذي تفاعلت معه تفرق عنه وبقدر ما تعيده بناءه تهدمه وبقدر ما تحاكيه تحوله وتعارضه (1)

ويتواصل حضوره هذا النمط من الكتابة الروائية المستندة إلى المرجعية التراثية في التسعينات من خلال عدد هام من النصوص تمثل لها بـ «التاج والخنجر والجسد» (1992) لصلاح الدين بوجاه في تونس و«رمل الماية او فاجعة الليلة السابعة بعد الالف» (1992) لواسيني الاعرج في الجزائر ، و«نزيف الحجر» (1990) و«التبر» (1990) و«رباعية الخسوف» (1991) لابراهيم الكوني في ليبيا و«مجنون الحكم» (1990) لسالم حميش في المغرب الاقصى وهي روايات تتحاور مع التراث في حكاياته الشعبية ونصوصه الشعرية واسفار تارخه ومتون اديه وحواشي لغته في طرحها لعدد من القضايا التي تطبع واقع المغرب العربي كعلاقة الحاكم والمحكوم وطبيعته

1 - سعيد يقطين: «الرواية والتراث السردى» المركز الثقافى العربى ، الدار البيضاء المغرب 1992

لسلطة في نصه «رمل المائة أو فاجعة الليلة السابعة بعد الالف» لواسيني الاعرج و«مجنون الحكم» لسالم حميش في خطاب لا يفصل بين الخرافي والواقعي، فالأول يجعل من دنيا زاد أخت شهرزاد ألف ليلة وليلة راوية المسيرة القمعية والقهرية للسلطة في العهد الموريسكي وفي الزمن الحاضر وهو يمزج فيها بين التاريخ المكتوب الرسمي والمزيف وبين التاريخ الشفوي المغيب والذي يعد خارج التاريخ ويزاوج بين الشعر والتصوف وبين القول والمداح ليكتب نصا روائيا جديدا يتأسس على فهم حدائي لطبيعة الكتابة والروائية الجديدة .

وحول ذات الاشكالية يصوغ سالم حميش عالم «مجنون الحكم» مركزا على شخصية الحاكم بامر الله ، راويا تايع حكمه ومقيما صلات وثيقة بين التاريخ القديم (القرن الخامس للهجرة) والتاريخ الحديث (واقع مغرب الاستقلال) في بنية روائية تقوم على التناص وتتميز بجوانب حدائية عديدة على صعيد الزمن والفضاء والشخص والاحداث .

كل ذلك يجعل من التراث المرجع في الرواية المغاربية المكتوبة بالعربية منذ الثمانينات إلى الزمن الراهن علامة مميزة من علامتها تعكس افق حداثة روائية ما فتئت تمثل هاجس الخطاب الروائي الجديد بالمغرب العربي .

5- اللغة - الرواية معادلة الابلاغ والإبداع

شكل البحث عن المغايرة قصد تجاوز الخطاب الروائي التقليدي ونتاج خطاب اخر جديد يعبر عن تحولات الواقع ويماشي روح العصر هاجس الكتابة الروائية المغاربية منذ مطلع الثمانينات حتى الزمن الراهن حيث اشتغل الروائيون في المغرب العربي على اللغة في ممارسة فعل الكتابة بأفق البحث لا غنائها وتطويعها حتى تستوعب الاسئلة المتناسلة التي تطرح عليها ويتداخل فيها الذاتي بالجماعي ، والقومي بالانساني والتراثي بالحدائي والمعيش بالمستحدث والعامي والدخيل ، والمغرب بالفصيح ، وهي نزعة تنزل ضمن صراع الجيل التقليدي من كتاب الرواية والذي اسهم في تأسيسها والجيل الجديد الذي يسعى إلى الانطلاق بها من موقع الإضافة الحقيقي ، وهو صراع يكاد يكون طبيعيا يعبر عنه الروائي واسيني الاعرج في قوله :«القديم يمارس دائما

حضوره بقوة والجديد يدخل حيز الحياة بخجل كبير داخل هذه الثنائية تتدرج مسألة لغة الرواية التي عليها أن تصل إلى عمق الانسان بدون الوقوف عند تخوم الرواية التقليدية التي استنفدت الكثير من طاقاته الإبداعية » (1).

فقد وعى جيل الثمانينات من كتاب الرواية في المغرب العربي ان اللغة لم تعد فقط اداة ابلاغ ولكنها صارت فعل ابداع قادر على بناء نص روائي متميزتشتغل صيرورته داخل اللغة / المجتمع « فهي ليست كائنا فارغا او مجموعة من التشكيلات التي تخرجها عند الحاجة المضمون الجميل لا يصل الا عن طريق لغة جميلة ، المضمون المأسوي لا تحفره في ذهن القارئ الا لغة مأسوية ، اللغة ليست قادرة انما تتلون بتلون النصوص » (2) ولذلك وجب ان تحمل اللغة تعددية الحس والدلالة اللسانية والإصارت لغة بلا افق خاصة انها جزء لا يتجزأ من البنية الدرامية للرواية وهو ما جعل لغة الخطاب الروائي المغربي تصبح هاجس السؤال الإبداعي وفعل الكتابة وإن كان سبق الريادة في ذلك يعود إلى الأديب محمود المسعدي بنحته لغة تراثية مثقلة دلالات وغنية مراجع دينية وفكرية وحضارية فجرت طاقات الكلام والابداع اللفظي وخلقت ايقاعا جديدا يلونه الشعري والصوفي ، والمأسوي .

وقد ظهرت امتداد لهذه المدرسة الفريدة في الادب العربي الحديث في الثمانينات من خلال عدد من النصوص لعل ابرزها « النفي والقيامة » (1985) لفرج الحوار « حيث نهجت الرواية سبيل الترتيل وتوغلت في اعماق الكلام المعتق مستعينة عن الحدث اذا لاحت يقف في وجه الوجود والعدم » (3) وتملك هوس اللغة في ممارسة الكتابة الروائية صلاح الدين بوجاه في نصه « مدونة الاعترافات والاسرار » (1985) والذي نعتته بـ « رواية الواقعية اللغوية » (4) ونجد النزعة ذاتها في عدد هام من

1 - مجلة المسار المغربي - العدد 29 . جوان 1989 الجزائر . الروائي واسيني الاعرج في حديث خاص . أجرى الحديث عثمان تراغارت ص 64 .

2 - ن م

3 - د . محمود طرشونة « تاريخ الادب التونسي الحديث والمعاصر » المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات (بيت الحكمة) تونس 1993 .

4 - صلاح الدين بوجاه مدونة الاعترافات والاسرار ، دار سراس للنشر تونس ، 1985 المقدمة .

لنصوص المغربية تمثل لها بروايات : «رحيل البحر» (1983) و«المباعة» (1988) لمحمد عز الدين التازي و«وردة للوقت المغربي» (1983) و«الجنازة» (1987) لآحمد المديني و«الضلع والجزيرة» (1980) و«عين الفرس» (1988) للميلودي شغموم وغيرها من النصوص الروائية و«يبدو أن نحت هذا اللون من لغة الاعجاز ليس محاكاة للقرآن بقدر ما هو تحديتمثل في تفجير طاقات الكلام والإبداع اللفظي» (1).

ثم ان هذه النزعة في التعامل مع اللغة ابداعيا في الخطاب الروائي تجلت في محاولة خيانة كل تنظيرات البلاغة العربية القديمة ، بخرقها نقاوة اللغة وخلوصها ، ومعايير فصاحتها القديمة التي ارسنها قواعد اللغة التقليدية ذلك لان الرواية جنس ادبي هجين تتلاقح فيه اللغات كما تلتقي في جسده سلاطات المحكي ولغاته وبذلك تكون بلاغته في مدى انزياحه عن ثوابت انبلاغة القديمة وقيمها الجمالية وهو ما جعل هذا النمط من الكتابة الروائية يفرز نصوصا لغوية تهتم بالابطان اكشر مما تهتم بالابانة ويتفصح الخطاب مما ادى تاليا إلى الأخذ بالشعرية اداة للتعبير الروائي فامتزجت اللغة السردية باللغة الشعرية في تشكيل الخطاب الروائي وتلوينه بنوع من الايقاع يعكس عمق معاناة الذات / الكاتبة واغترابها عن واقعها المعيش الذي احبط الكثير من طموحاتها وتطلعاتها ومثل لهذه المزاجية بين اللغة السردية واللغة الشعرية بنموذجين اولهما لمحمد عز الدين التازي من رواية «رحيل البحر» (2).

«سيدي يا بحر الظلمات ها انت حاضر معنا في هذه السهرة تنظر الينا بعينيك المنطفئتين ترفع صوتك فوق اصواتنا تمتد في دمننا من الميلاد إلى اخر الرمح.

اتعبتنا كثيرا يا بحر

اعطني شيئا منك دعني ادخل حماك زودني بقينة معتقة من سقط بحارة قدامي جالوا باجسادهم في القرار انشدني نشيدك ، علمني كيف افتن .

• وافتن افتح لي صدرك قدني نحو مراتع الجنيات.

ايها الطاعن في المحنة اذا اخذتك الجنية واعطتك الجسد هل تقبل ان تفرق دنياك

1 - د. مصطفى الكيلاني : اشكاليات الرواية التونسية . المؤسسة الودنية للترجمة والتحقيق والدراسات (بيت الحكمة) تونس 1990 .

2 - محمد عز الدين التازي « رحيل البحر » المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت 1983 .

ودارك واولادك ؟

وأنا الطاعن في المحنة ماذا افعل هنا ؟.

اما النموذج الثاني فهو للروائي واسيني الاعرج من نصه : «مصرع احلام مريم الوديعة» (1984).

«قبليني يا مريم قبل ان يغيبنا ضجيج الشوارع ربما كانت فرصتنا الأخيرة ربما كانت فرحتنا الأخيرة اقسمت بعيون الموتى لا استيقظ الا على عينيك وشفتيك ونهديك المحروقين وعلى ركام الكلمات البذيئة » (1).

غير ان هذا البحث اللغوي والاغراق فيه احدث شيئا من الغموض في بعض نصوص هذا النمط من الكتابة الروائية مثل «ن» لهشام القروي «الجنازة» للمديني حيث صار التعامل مع حالة صوفية تحيل على تعامل الصوفيين مع مثلهم الأعلى الذي لا يدركونه الا عن طريق لغة تتجاوز المعطى السلبي والسطحي المستهلك للغة ثم ان اللجوء إلى تلوين اللغة السردية بلغة الشعر في ايجانها وايقاعها لم يكن موفقا في العديد من النصوص الروائية بل «إن توفر الطاقة الشعرية على مستوى الجملة لا يحقق بالضرورة شاعرية النص الروائي » (2).

ولعل ما تجدر الاشارة اليه في هذا السياق هو ان هذه النزعة اللغوية في تشكيل الخطاب الروائي المغاربي تشهد انحسارا وتقلصا لتحول الكتاب الذين مارسوها في نصوصهم في الثمانينات عنها إلى كتابة واقعية تلونها الرمزية ولكنها تبقى اقرب إلى إدراك القارئ وتحقيق التواصل معه ويمكن ان تمثل لذلك بنصي «حكاية وهم» (1992) لأحمد المديني و«المؤامرة» (1992) لفرج الحوار ،حيث وقعت الاستعاضة عن البحث اللغوي والتعلق بنواحي اللغة الملفزة واللغة الشعرية بالتعبير عن اشكالية الواقع وتحولاته المتأزمة في مختلف حقول الحياة وهو ما يجعل رواية التسعينات تؤثر على احتضار نمط الرواية اللغوية لتبشر بعودة أقوى للكتابة الواقعية .

1 - واسيني الاعرج «مصرع احلام مريم الوديعة» - دار الحداثة - بيروت لبنان 1984 ص 38 .

2 - سعيد يقطين : « الرواية والتراث السردى » ص ، 121

خاتمة البحث :

إن الكتابة الروائية المغاربية ذات التعبير العربي تستند ، وهي تتشكل ، إلى مراجع متعددة تستمد منها موضوعات متنها ، وتستلهم اشكال خطابها ، فتتحدد بذلك أنماطها . وهي مراجع وان بدت منفصلة عن بعضها في الظاهر ، الا أنها تمثل حلقات متصلة ومتكاملة في سيرورة في سيرورة هذا الجنس الادبي في بلدان المغرب العربي التي شهدت عقب استقلالها عديد التحولات العميقة في مختلف بنياتها ، ومن ثمة فإن هذه المراجع تمثل العلامات الدالة على تلك التحولات ، وتكشف في الآن ذاته عن صيرورة مجتمعات المغرب العربي وصيرورة جنس الرواية بها والذي يجلقي النزوع الى التجريب بحثا عن الخصوصية هاجس كتابه .

